حاتم يتصعلك

[من الطويل]

أتَــعْــرِفُ أطْــلالاً ونُــؤيــاً مُــهَــدَّمــا،
كـخَـطّـكَ، فـي رَقٍّ، كـتـابـاً مـنَـمـنَـمـا[١]

أذاعــتْ بــهِ الأرْواحُ، بــعــدَ أنــيــسِــهــا،
شُــهُــوراً، وأيّــامــاً، وحَــوْلاً مُــجــرَّمــا[٢]

دوارِجَ، قــد غَــيّــرْنَ ظــاهــرَ تُــرْبِــهِ،
وغَــيّــرَتِ الأيّــامُ مــا كــانَ مُــعْــلَــمَــا[٣]

وغــيّــرَهــا طُــولُ الــتّــقــادُمِ والــبِــلَــى،
فــمــا أعــرِفُ الأطْــلالَ، إلّا تَــوَهُّــمَــا

تَــهــادى عَــلَــيــهــا حَــلْــيُــهــا، ذاتَ بــهــجــةٍ،
وكَــشــحــاً، كــطَــيّ الــسّــابــريّــةِ، أهــضَــمَــا[٤]

---

(١) «النؤي»: الحفير حول الخيمة ليمنع سيل المطر إلى داخلها. «الرقّ»: الجلد الرقيق كان العرب يكتبون عليه. «منمناً»: مرقشاً. شبّه الشاعر الأطلال الدارسة بكتاب قديم، لم يبق منه إلّا رموس وإشارات.

(٢) «مجرّماً»: كاملاً.

(٣) «دوارج»: وصف للرياح التي تنقل الرمال، فتغيّر معالم الطبيعة. دوارج: ماشية كمشي الأطال. «مُعْلماً»: معروفاً.

(٤) «تَهادى»: مشى مشية هادئة. «كشحاً»: خاصرة. «السابرية»: ضرب من الأثواب الرقيقة الجيّدة. «أهضما»: رقيقاً.

ونَـحـراً كَـفَـى نُـورَ الـجَـبـيـنِ، يَـزيـنُـهُ
تـوَقُّـدُ يـاقـوتٍ وشَـذْرٌ، مُـنَـظَّـمَـا[١]

كـجَـمـرِ الـغَـضَـا هَـبّـتْ بـهِ، بـعـدَ هـجـعـةٍ
مـن الـلّـيـلِ، أرْواحُ الـصـبَّـا، فَـتَـنَـسّـمَـا[٢]

يُـضِـيءُ لَـنـا الـبَـيـتُ الـظّـلـيـلُ، خَـصـاصَـةً،
إذا هـيَ، لَـيـلاً، حـاوَلَـتْ أن تَـبَـسّـمَـا[٣]

إذا ٱنْـقَـلَـبَـتْ فـوْقَ الـحَـشـيّـةِ، مـرّةً،
تَـرَنّـمَ وَسْـوَاسُ الـحُـلِـيّ تـرَنُّـمَـا[٤]

وعـاذِلَـتَـيـنِ هَـبّـتَـا، بَـعـدَ هَـجْـعَـةٍ،
تَـلُـومـانِ مِـتْـلافـاً، مُـفـيـداً، مُـلَـوَّمَـا[٥]

تَـلـومـانِ، لـمّـا غَـوّرَ الـنّـجـمُ، ضِـلّـةً،
فتًى لا يرَى الإتلافَ، في الحمدِ، مغرَما[٦]

فـقـلـتُ، وقـد طـالَ الـعِـتـابُ عـلَـيـهِـمـا،
ولـوْ عَـذَرانـي، أنْ تَـبـيـنَـا وتُـصْـرَمـا[٧]

---

(١) «الشذر»: اللؤلؤ الصغير.
(٢) «الغضا»: ضرب من الشجر القاسي، يدوم حجره أكثر من غيره متوهِّجاً. «هجعة»: إغفاءة سريعة أول الليل.
(٣) «الخصاصة»: الفرج في البناء وغيره.
(٤) «الحشية»: الفراش. «وسواس الحُلِيّ»: صوتها.
(٥) «المتلاف»: من صيغ المبالغة دلالة على كثرة إتلافه المال. «ملوَّما»: يلام كثيراً.
(٦) «غوّر النجم»: مال إلى الغروب. «ضِلّة»: جهالة.
(٧) «أن تبينا»: أن تغربا عني. «تُصرما»: تقطعا العلاقة به وتتركاه.

ألا لا تَـلُـومـانـي عـلـى مـا تَـقَـدّمـا،
كـفـى بـصُـرُوفِ الـدّهـرِ، لـلـمـرْءِ، مُـحْـكِـمـا

فـإنّـكُـمـا لا مـا مـضَـى تُـدْرِكـانِـهِ،
ولَـسْـتُ عـلـى مـا فـاتَـنـي مُـتَـنَـدّمَـا

فـنَـفـسَـكَ أكـرِمْـهـا، فـإنّـكَ إنْ تَـهُـنْ
عـليكَ، فلنْ تُلفي لك، الدهرَ، مُكرِما[1]

أهِـنْ لـلّـذي تَـهْـوَى الـتّـلادَ، فـإنّـهُ
إذا مُـتَّ كـانَ الـمـالُ نَـهْـبـاً مُـقَـسَّـمَـا[2]

ولا تَـشْـقَـيَـنْ فـيـهِ، فـيَـسـعَـدَ وارِثٌ
بـهِ، حـينَ تَـخشَـى أغبـرَ الـلّـوْنِ، مُـظـلِـمـا[3]

يُـقَـسّـمُـهُ غُـنْـمـاً، ويَـشـري كَـرامَـةً،
وقـد صِـرْتَ، فـي خـطٍّ مـن الأرْض، أعـظُـمـا

قـلـيـلٌ بـهِ مـا يَـحـمَـدَنّـكَ وَارِثٌ،
إذا سـاقَ مـمّـا كـنـتَ تَـجْـمَـعُ مَـغْـنَـمَـا[4]

---

(١) ورد البيت في ديوانه طبعة دار صادر صفحة: ٨٠.
ورد البيت في الأمثال والحكم لأبي الحسن الماوردي صفحة ٢٢٦ على النحو التالي:
فنفسك أكرمها، فإنّك إن تَهُنْ عليك فلن تلقى لها الدهرَ مُكْرما»

(٢) «التلاد»: المال الموروث.

(٣) «أغبر اللون مظلماً»: قصد به الموت.

(٤) ورد البيت في: شرح شواهد الألفية، للعيني ٤/ ٣٢٨، التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد ٢/ ٢٠٥ وهمع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي ٢/ ٧٨، الدرر اللوامع ٢/ ٩٩، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ٣/ ٢١٧.

تحمّلْ عن الأدْنَينَ، واستَبقِ وُدّهمْ
ولن تَستَطيعَ الحِلْمَ حتى تَحَلَّمَا[١]

متى تَرْقِ أضْغانَ العَشيرَةِ بالأنَا
وكفّ الأذى، يُحسمَ لك الداء مَحسما[٢]

وما ابتَعَثَتْني، في هَوايَ، لجاجةٌ،
إذا لم أجِدْ فيها إمامي مُقَدَّمَا[٣]

إذا شِئْتَ ناوَيْتَ امْرَأ السّوْءِ ما نَزَا
إليكَ، ولاطَمْتَ اللّئيمَ المُلَطَّمَا[٤]

وذو اللّبّ والتقوى حقيقٌ، إذا رأى
ذوي طَبَعِ الأخلاقِ، أن يتكَرّما[٥]

فجاوِرْ كريماً، واقتدِحْ منْ زِنادِهِ،
وأسْنِدْ إليهِ، إنْ تَطاوَلَ، سُلّمَا[٦]

---

(١) ورد البيت في: كتاب سيبويه وشرح شواهده للأعلم ٢/ ٢٤٠، شرح المفصل لابن يعيش الحلبي ٧/ ١٥٨، مغني اللبيب وشرح شواهده، للسيوطي ٦٧١ (٣٢١).

(٢) «ترقِ»: من الرقية للشفاء. «أضغان»: أحقاد. «الأنا» أي الأناة: الرفق والصبر. «حسم الداء»: القضاء عليه.

(٣) ابتعث ابتعاثاً: الحّت عليّ، أيقظتني: إبتعثتني.

(٤) «ناويت»: ابتعدت، «نزا»: وثبت. «الملطم»: المطروب يُلطم كثيراً.

(٥) «ذو اللب»: العاقل اللبيب. «طبع الأخلاق»: الأخلاق السَّيئة.

(٦) «اقتدح من زناده»: استدفئ بناره أي استفد من قدراته المالية والمعنوية.

وعَـوْراءَ، قـد أعـرَضْـتُ عـنـهـا، فـلـم يَـضِـرْ
وذي أوَدٍ قَـــوّمْـــتُـــهُ، فَـــتَـــقَـــوّمَـــا[١]

وأغْـــفِـــرُ عَـــوْراءَ الـــكَـــريـــمِ ادّخـــارَهُ،
وأصْـفَـحُ مِـنْ شَـتـمِ الـلّـئـيـمِ، تـكَـرُّمَـا[٢]

ولا أخـذِلُ الـمـوْلـى، وإن كـان خـاذِلاً؛
ولا أشـتـمُ ابـنَ الـعـمّ. إن كـانَ مُـفـحَـمـا[٣]

ولا زادَنـي عـنـهُ غِـنـائـي تَـبـاعُـداً،
وإن كـان ذا نـقـصٍ مـن الـمـالِ، مُـصـرِمَـا[٤]

ولَـيْـلٍ بَـهـيـمٍ قـد تَـسَـرْبَـلْـتُ هَـوْلَـهُ،
إذا الـلـيـلُ، بـالـنِّـكسِ الـضّـعـيـفِ، تـجَـهّـمَـا[٥]

ولـن يَـكـسِـبَ الـصّـعـلـوكُ حـمـداً ولا غـنًـى
إذا هـوَ لـم يـرْكَـبْ، مـن الأمـرِ، مُـعـظَـمَـا[٦]

---

(١) «العوراء»: ما قبح من الأفعال والأخلاق. «الأود»: الاعوجاج.

(٢) ورد البيت في: كتاب سيبويه وشرح شواهده للأعلم ١/ ١٨٤، ٤٦٥، نوادر أبي زيد الأنصاري: ١١٠، المقتضب للمبرد ٢/ ٣٤٨، الكامل للمبرد: ١٦٥، الجمل للزجاجي: ٣١٠، شرح المفصل لابن يعيش الحلبي ٢/ ٥٤، خزانة الأدب للبغدادي ١/ ٤٩١، شرح شروح الألفية للعين ٣/ ٧٥، التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد ١/ ٣٩٢، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ٢/ ١٨٩/ «ادخاره» احتفاظه.

(٣) «خذله»: توانى عن مساعدته وترك نصرته. «المفحم»: العاجز عن النطق، العيي.

(٤) «مصرماً»: محروماً.

(٥) «بهيم»: أسود، معتم. «تسربلت»: لبست. «هوله»: الخوف منه. «النكس»: الجبان. «تجهّم»: عبس في وجهه.

(٦) «الصعلوك»: المخلوع من قبيلته، الفقير.

يـرى الـخَـمـصَ تـعـذيـبـاً، وإنْ يـلـقَ شَـبـعـةً
يَـبِـتْ قـلـبُـهُ، مـن قِـلّـةِ الـهـمّ، مُـبـهَـمَـا[١]

لـحـى الـلَّـهُ صُـعـلـوكـاً، مُـنـاهُ وهَـمُّـهُ،
مـن الـعـيـشِ، أن يَـلـقـى لَـبـوسـاً ومَـطـعـمـا[٢]

يَـنـامُ الـضّـحـى، حـتـى إذا لـيـلُـهُ اسـتـوَى،
تَـنَـبّـهَ مَـثْـلُـوجَ الـفـؤادِ، مُـوَرَّمَـا[٣]

مُـقـيـمـاً مـعَ الـمُـشْـرِيـنَ، لـيـسَ بـبـارِحٍ،
إذا كـان جـدوى مـن طـعـامٍ ومَـجـثِـمَـا[٤]

ولـلَّـهِ صُـعْـلـوكٌ يُـسـاوِرُ هَـمَّـهُ،
ويمضِي، على الأحداثِ والدهرِ، مُقدِما[٥]

فـتـى طَـلِـبـاتٍ، لا يـرَى الـخَـمـصَ تَـرْحـةً
ولا شَـبـعَـةً، إنْ نـالَـهـا، عَـدّ مَـغـنَـمـا[٦]

---

(١) «الخمص»: الجوع.
(٢) قصد بالصعلوك: الطفيلي الذي لا يسعى لكسب رزقه وإنما يعيش على ما يحصل عليه من الأجواد، تكاسلاً.
(٣) «استوى»: أقبل، حلّ «مثلوج الفؤاد»: كسول، لا يهتم لأمر. «مَورّما»: ضخم الجثة.
(٤) «جدوى من طعام»: شيء من عطاء. «مجثماً»: سكنى ونزل.
(٥) يقصد هنا الصعلوك الساعي لتحصيل رزقه بالعمل في سبيل الحصول على معاشه. «يُساور»: يثب.
(٦) «ترحة»: حزناً وفقراً.

إذا مـا رأى يـوْمـاً مـكـارِمَ أعـرَضَـتْ،
تَـيَـمّـمَ كُـبـراهُـنّ، ثُـمّـتَ صَـمّـمَـا[١]

تـرَى رُمْـحَـهُ، ونَـبْـلَـهُ، ومِـجَـنّـهُ،
وذا شُـطَـبٍ، عَـضْـبَ الـضّـريـبة، مِـخْـذَمـا[٢]

وأحْـنـاءَ سَـرْجٍ فـاتِـرٍ، ولِـجَـامَـهُ،
عَـتـادَ فَـتًـى هَـيْـجـاً، وطِـرْفـاً مُـسَـوَّمَـا[٣]

أورد لسان العرب ١٥ : ٢٠٢ مادة «قنا» بيتاً على نفس الروي والقافية والوزن. « . . . وقنِيت الحياء بالكسر، قُنُوًّا: لزمته؛ قال حاتم:

إذا قَـلَّ مـالـي أو نُـكِـبْـتُ بِـنَـكْـبَـةٍ،
قَـنِـيْـتُ حَـيـائـي عِـفَّـةً وتـكَـرُّمـا»

(١) «صمّم»: عزم على الأمر ومضى فيه.
(٢) «المجنّ»: الترس. «ذا شطب»: سيف. «الشطب»: الخطوط في متن السيف. «العضب»: السيف البتّار. «المخذم»: القاطع من السيوف.
(٣) «حنو السرج»: اسم لكلّ من القربوسين المقدم والمؤخر. «الفاتر»: الليِّن. «الطِّرف» بكسر الطاء وسكون الراء: المسهر. «مُسّوماً»: حسن الخلْق.